اللغة بين وظيفة الاتصال ووعاء للقيم ووسيلة نقلها

أ.د.أحمد عزوز
قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب والفنون
-جامعة وهران1-أحمد بن بلة - الجزائر

مقدمة

إنّ دراسة اللغة هي دراسة عملية الاتصال التي تستخدم في أغراض عديدة، وتشتمل على أشكال من التفاعل مع أشخاص آخرين، وتستعمل في مواقف شتّى، ويحتاج الناس إليها في المواقف المختلفة، وقضاء المصالح في مجرى الحياة اليومية، ويوظّفونها كي يحافظوا على علاقاتهم بالآخرين، والحصول منهم على المعلومات أو إعطائهم أخرى، ومعنى ذلك إنّهم يسعون إلى تحقيق عدّة وظائف في آن واحد[1].

وفي ضوء ذلك تتشكّل العلاقة الوطيدة والوثيقة بين المجتمع ولغته، فهي علاقة اجتماعية تبادلية، وكائن ينمو ويتأثّر بمحيطه وسياقه، وبالقدر الذي تتمّ فيه رعاية اللغة والمحافظة على أصولها وثوابتها، فإنّها تحافظ وتتبوّأ دورها الريادي والحضاري.

وإذا كان اللسان العربي هو المدخل إلى تخلّفنا –كما يتعتقد البعض– وعدم قدرتنا على مواكبة النموّ والخروج من التخلف، فإنّ اللسان عند الشعوب المتقدّمة هو الطريق، والبوابة التي تدخل منها للمحافظة على القيمة التي يحتلها اللسان في حياة الإنسان عموما، وفي حياة الشعوب، والصراع القائم بينها ومسار النفوذ الاقتصادي والسياسي والثقافي خصوصا[2].

ومن وظائفه – أيضا– التربية والتهذيب، والكلمة الدالة هي القادرة على الانطلاق من المخزون القيمي لتلمس واقعا يعيشه الفرد والمجتمع، وتدمّر ما تمّ اكتسابه من قيم امتدّت في الزمان والمكان[3].

وقد نلاحظ مثل ذلك فيما قامت به فرنسا من تدمير في الجزائر لما أنجزته اللغة العربية على مرّ العصور فحاولت طمسه؛ وهو أمر يوصف بالعنف أو الإرهاب اللغوي الذي كانت أهدافه الهيمنة على كلّ ما هو موجود في أرضها، ومحو ثقافتها والقضاء عليها.

وفي ظلّ هذا التفكّك القيمي، تسعى كلّ لغة إلى أن تنكمش على ذاتها، وتحتفظ بخصوصيتها إلى حين، وبمعنى آخر تقف موقف دفاع والتفرّج على غيرها من اللغات، وإنّ تقلّص القيمة جعل اللغة العربية تتشابه مع اللغات الأخرى، ففقدت مكانتها – في بعض الأحيان –سواء في الإدارة، أو العلم أو التواصل كلغة قيمية[4].

---

[1]- ينظر أحمد عزوز،اللغة والاتصال،مجلة التربية، دولة قطر، العدد 150نسنة:2004،ص:266.
[2]-ينظر عبد الحميد عبد الواحد، اللسان العربي:الحاضر والآفاق، ضمن اللسان العربي والتلقي، مركز دراسات الوحدة العربية،ص:64.
-دّعبد الرحمن عزي،فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية،ضمن كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقي،مركز الوحدة العربية، ط:1،
[3]سنة:2007،بيروت، ص:24.
[4]-ينظر د. عبد الرحمن عزّي، فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية ضمن كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص:26.

1 - اللغة والهوية

وقد كانت الشعوب الإسلامية والعربية قديما تتشبّث بتعلّم اللغة العربية رغبة واعتزازا بمعرفة قيم دينها وشريعته السمحة، والحضارة والعلم، ولغة المناصب العليا، أمّا حديثا وعندما تراجعت قيمتها، فقد فضّلت هذه الشعوب مثل غيرها تعلّم الإنكليزية والفرنسية وغيرها من اللغات معتقدة أنّ التخلّي عن اللغة العربية هو السبيل لاكتساب العلم والتكنولوجيا[1].

ويرى عبد السلام المسدّي أنّ هناك ضربا من الحقائق الجديدة، يبدو القائمون على مصائر الأقطار العربية في غفلة عنها، فإن لم يكونوا كذلك فربّما يرونها من الخيارات القابلة للتأجيل؛ حتى ولو أمسى التأجيل هو قاعدة العمل لا استثناءها.

فهناك حقائق ذات بعد سياسي، قلّما ينتبه أهل الشأن بيننا إلى الصلة الوثيقة بين القرار السياسي ومقوّمات الهوية الحضارية مهما نأى الموضوع في ظاهره عن مسألة الانتماء. وقد لا يخطر بالبال ما يعود من ذلك كلّه على مستقبل علاقة الناشئة بهويتهم الحضارية من خلال إعادة تشكيل هويّتهم اللغوية[2].

ولم "يبالغ العلامة ابن خلدون حين أشار إلى أنّ استعمال اللسان العربي صار من شعائر الإسلام وطاعة العرب. ولذا فإنّ اللغة في المدرسة الخلدونية هي الشرعية في الهوية والوجود، وإن التعامل مع موضوع اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية كلية ومرتبطة بثوابت الاستعمال، وبعلاقة القوّة، وروابط الثبات للحفاظ على الهوية، هو تعامل مع مقوّمات الحضارة وعناصرها الأساسية وسماتها غير القابلة للتغيير"[3].

والملاحظ أنّ المسألة اللغوية عند ابن خلدون تندرج في سياق اهتمامه بالعمران البشري والتفكير الاجتماعي، وهي ذات علاقة وثيقة بالمجتمع، إذ تتغيّر بتغيّره، وتفسُد بفساد اللسان الأول، ولذلك يربط اليوم الدارسون بين اللغة والتنمية التي من ثمارها العمران، وهي فكرة مؤكّدة لدى ابن خلدون، وبالتالي فاللغة عنده لا تنفصم عن القيمية.

فهو يربطها بالوقع، ويراها نابعة منه، لأنّها شديدة الصلة بالممارسة والاستعمال، أي بالظاهرة الاجتماعية في وحدتها وكليتها، فاللغة عنده ملكة في اللسان تحصل بممارسة فعل الكلام ومعاودته، حتّى تترسّخ منوالا، يرتسم في المخيال بعد طول معاشرة وحفظ لكلام العرب، فتصبح صفة راسخة في الفرد، ينسج عليها ويعيد إنتاجها من جديد، فالممارسة هي التي تبني المنوال[4]، على رأي أحمد بن فارس(392هـ)، وتشومسكي في العصر الحديث.

وهو ما يتجلّى اليوم في معاناة العربية لذهاب سلطتها بين العرب؛ حتّى بين بعض أبنائها لشعورهم أنّ أمّتهم لم يعد لها ذلك الاحترام، والتقدير الذي اكتسبته عبر العصور على المستوى السياسي والإبداعي والاقتصادي والعلمي.

---

[1]- ينظر د.عبد الرحمن عزي، فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية، ضمن كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقّي، ص:26.

1- ينظر د.عبد السلام المسدي، لغة الطفل العربي والتحديات الراهنة، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد التاسع، صيف 2008، ص:134.

[3]-ينظر د. عزي عبد الرحمن ، المرجع السابق، ص:10.

[4]-ينظر محسن بوعزيزي، اللغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون، ضمن اللسان العربي وإشكالية التلقّي،ص:150.

ولا شك في أنّ اللغة إذا انتفت منها القيمة التي تشحن بها النفوس والعزائم أثّرت في العقول، فكبّلتها عن الإبداع والاختراع، ويكون ذلك بترسيخ عبارات في العقول مثل: "الله غالب"، "ولا يمكنك فعل أي شيء"، وهو تبرير لعدم القدرة على تغيير الواقع من المآسي التي يعيشها الفرد العربي، ومثل قوله تعالى: "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"[1].

وهي عبارات لغوية تكبّل العقل العربي، وتؤدّي إلى السلبية والإحباط والعجز وفقدان الإرادة، ممّا أدّى إلى تمجيد قوانين المحتلّ وحضارته وممارسة مظاهره، فكان لوم الآخرين دوما هو المخرج لتبرير الضعف والاتكالية.

إنّ مثل هذه العبارات تنخر الجسم والعقل معا من الداخل، ولا تتركه ينطلق في سماء الإبداع وتحقيق الطموحات التي بناها منذ مرحلة الشباب؛ لأنّ اللغة هي التي تمدّ العقل القدرة على التفكير، والاجتهاد في حلّ المشاكل المعقّدة ومواجهة الضغوط المتنوعة.

إنّ قبول مثل هذه العبارات في الواقع اللغوي ونقلها؛ وهي لا تحمل القيمة الحقيقية التي يرتضيها المجتمع أو يطلبها نحو: هل تعتقد أنك ستغيّر شيئا؟ أو أنّك لا تتمكّن من التغيير والإصلاح، ويردفون بأنهم لا يعتقدون ذلك حتى لو حسنت النوايا لهو دليل على أن ثمة جزء في اللغة خارج عنها؛ بل هو من فعل التلفّظ أو المتكلّم؛ ذلك أنّك تستطيع أن تغير منها وتحذف النفي في عبارة "لا تستطيع"، فتقول "تستطيع" لتصبح اللغة حاملة للقيمة التي وجدت من أجلها[2].

فالكلمات ليست محايدة، وليست بريئة؛ ولذلك نراها تتميّز بالسلطة وليست بالبساطة التي يتصوّرها بعض الناس، فبعضها ملغم، أو مفخّخ بمخاوفنا وهواجسنا بالكلمات تكون البدايات وتكون أيضا النهايات، فهي التي تتكلّم حتى ولو كانت مكتوبة على الجدران، ومن الكلم ما أبكم ومنه ما قتل ومن الإشارات والعلامات ما ظلم.

واللغة العربية ليست مجرّد وسيلة للتخاطب والتفاهم، بل رمز وهوية، رمز لوحدة أمّة عريقة، لها تاريخها وتراثها عبر القرون، ورمز لحضارة امتدّت في مساحة واسعة في هذه الكرة الأرضية، وقد تواصل من خلالها تاريخ البشرية، فكانت لغة العلم والأدب والفلسفة لعدد كبير من شعوب الأرض، وهي لغة القرآن الكريم الذي وعد الله سبحانه بحفظه وصونه:"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"

إنّ لتفكك البنية القيمية الاجتماعية تأثيرا مباشرا على البنية اللغوية التي تفقدها الصفاء ومستوياتها التي يسعى النظام التربوي تعليمها للناشئة.

وقد نلمس هذا التفكّك فيما أصاب اللغة العربية الفصحى في بنيتها القيمية، فظهر الفساد اللغوي، وأصبح الهجين صفة ملازمة للفعل الكلامي للأفراد في الساحات المختلفة بدءا من العائلة، ثم المدرسة فالمسجد، والإذاعة بل في الدروس الجامعية في الاختصاصات المختلفة التي يفترض أن تكون هي التي تصون لها تلك القيمة.

[1]- د.غياث بوفلجة، معوقات العقل العربي وتحدياته، مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية، دار القدس،وهران، سنة:2011،ص:35.
[2]- غياث بوفلجة، المرجع نفسه، ص:53.

2 – الأصل في اللغة احتواء القيمة

ولعلّ ما سبق يدعونا إلى القول إنّ الحديث عن اللغة يتجاوز ذلك المفهوم الذي حصرها في الوظيفة الخاصة بالاتصال والتواصل، أو غايتها الأساسية هي كذلك، أو في تحديدها على أنّها مجرّد نظام من العلامات والإشارات على حدّ قول دي سوسير، وأنّها تدرس لذاتها ومن أجل ذاتها، أو كما حدّدها ابن جني في قوله: "أمّا حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

فالوظيفة الأساسية للغة هي – بلا شكّ– التعبير عن الأحاسيس والآمال والآلام، ولكن هي أساسا كما أشار إلى ذلك د. عزي عبد الرحمن في قوله:" إنّ الأصل في اللغة احتواء القيمة ونقلها"[2]، ذلك "أنّها تحوي أسمى ما يمكن أن يتعلّق به الفرد من معان"[3].

ولما كانت اللغة تضمّ المعاني السامية والمثل العليا، والقيم النبيلة، فكيف دخل العنف إلى اللغة، وهو ليس صفة فيها أو ليس ضمن قيمتها؟.

يرى د. عزي "أنّ الارتباط متلازم بين اللغة وقيمها، فهي تنشئ متعلّميها على إتقان استخدام الكلمات، والألفاظ في سياقاتها التعبيرية والقيمية وفق ضوابط وقواعد محدّدة"[4].

ويرى أيضا أنّ اللغة العربية تنفرد تاريخيا بقدرتها على امتلاك القيمة، وتمثّلها لها بفعل أنّها لغة القرآن الكريم، أي إنّها لغة مقدّسة رحيمة تضفي هيبتها وجمالها وجلالها على متحدّثيها متى لم تتعرّض قواعدها ومعانيها إلى الإفساد اللغوي، وما يترتّب عليه من عنف لساني أيضا.

ولعلّ مصطلح العنف اللساني يحتاج إلى نوع من التدقيق، فهو لا يقصد به تلك الألفاظ والتراكيب التي ينطقها المتكلّم، أو يكتبها، فيكون من ورائها الإساءة الأخلاقية أو الإيذاء للمخاطَب فقط؛ وإنّما هو الإخلال بالبنية القيمية للغة إلى جانب البنيات الأخرى التي حلّلها اللسانيون كقواعد الاشتقاق والأصوات وما إلى ذلك.

ويعدّ هذا العنف اللساني دخيلا على اللغة إذ مارسه الأفراد أو فئات اجتماعية معيّنة في مرحلة تاريخية محدّدة أو عبر مراحل، وبمعنى آخر فهو لغة أخرى تم إدخالها على اللغة الأصلية التي من خصائصها القيمة، وهو ما يمكن أن أطلق عليه بنظرية الصفاء أو النقاء اللغوي لدرء المفاسد واللحن عن اللغة أو ما ينعت اليوم بالأمن اللغوي أيضا.

وهكذا فالقيمة هي الأصل في اللغة، أي إن الفساد أقحمه فيها المتكلّمون، فهو من فعلهم، وهو خارج عن بنية اللغة وعن قيمتها.

---

[1]-ابن جني ، الخصائص، ج:1،ص:34.
[2]- د. عزي عبد الرحمن، فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية، ضمن اللسان العربي وإشكالية التلقّي،ص:11.
[3]-د. عزي عبد الرحمن، فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية، ضمن اللسان العربي وإشكالية التلقّي،ص:11.
[4]-د. عزي عبد الرحمن، فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية، ضمن اللسان العربي وإشكالية التلقّي،ص:13.

فالفساد اللغوي له تأثير سلبي على البنية الاجتماعية، فهو ليس من صميمها؛ ونتيجة هذا الفساد اللساني وهذا العنف، تعرّضت بسببه لغات كثيرة مع الزمن إلى التغيير، بل إلى التدمير، ولهذا خصّصت هيئة الأمم المتحدة يوم 21 فبراير اليوم العالمي للغة الأم، بل يوم 18 ديسمبر اليوم العالمي للغة العربية.

وظهر باحثون يدعون إلى وضع حدّ لما يعرف بموت اللغات على غرار ما ألفه كلود حجاج[1]، حيث يرى أنّ كلّ سنة تنطفئ خمس وعشرون لغة، ومعها المجموعات البشرية والثقافات، وهكذا يوجد اليوم ما يفوق 6000 لغة، وإذا لم تتغيّر كيفية التعامل مع اللغة، فنصف هذا العدد سيموت، ففي أواخر القرن الواحد والعشرين سيصبح 2500 لغة فقط، هذا إذا لم يكن أقل إذا راعينا بأنه يمكن أن تكون السرعة في الانقراض والانطفاء لتلك اللغات[2].

"فالاستخدام الفردي قد يدخل إفسادا لغويا، إذا كان المتكلّم لا يمتلك "الأهلية اللغوية"[3]، وهو ما يطلق عليه ابن خلدون الملكة اللسانية، والكفاية اللغوية من منظور شومسكي، وإذا كانت هذه المصطلحات متقاربة في المفاهيم، فالواقع إن د. عزي يرى أنّ الأهلية تتميّز بالبنية القيمية، حيث يقول:"ويقصد بذلك قدرة المتحدّث على الكلام وفق البنية النحوية وكذلك البنية القيمية التي تنتمي إليها اللغة".

3 – المناهج التربوية وربط تعليم اللغة بالبنية القيمية

يرى د. عزي أنّ كثيرا من المناهج التربوية تركز على تدريب الطلاب والمتعلّمين على قواعد النحو من دون ربط ذلك مع القيمة، ممّا يؤدّي بالمتعلّم؛ بل المتحدّث بهذه اللغة إلى أن يصبح معزولا عن الجوّ القيمي الذي يميّزها.

ولا ريب في أنّ هذا الاتّجاه يدعو إلى تذوّق اللغة من جهة من حيث بنيتها الفوقية كالنحو والصرف والتراكيب وما إلى ذلك؛ ليتم التواصل بصورة سليمة ومؤدية للأغراض التواصلية، وفي الوقت نفسه تكون مشحونة بالقيم التي تنقلها، ولا تخول لغة من هذه القيم، فيكفي أن نحسن اختيار النصوص التي نعلّمها.

4 – العنف اللساني من فعل التلفظ وليس من اللغة

يخصّ العنف اللساني فعل الكلام وليس اللغة، على الرغم من أن اللغة تتأثّر بدورها باللفظ المنطوق. والمدقّق في العنف اللساني لا يلفيه قيمة؛ وإنّما يعدّ صفة منبوذة، كما أنّها ليست صفة قائمة في حدّ ذاتها، ولكنّها ردّ فعل غير متوازن على قول أو فعل أو وضع أو ظاهرة تجعل المتكلّم يفقد السيطرة على اللغة[4] أو لا يمتلك القدرة التي تتحكّم في الحديث، فيلجأ إلى جملة من الانحرافات التي تكون من صنع الكلام حتى وإن كان المتحدّث قد ورث ذلك من المتحدّثين الآخرين أي يكون قد قلّدهم فيما يتخاطبون به في مثل تلك المواقف.

وهناك شيء آخر ألا وهو أنّ اللغة فيها من المرجعية والقوائم من الألفاظ والتعابير ما يجعل الفرد إذا تريّث تمكّن من أن ينقل من تلك القائمة ما هو قيمي حتى وإن كان في موقف أو وضع يتطلّب منه الإيذاء أو إصدار فعل كلامي ليس من اللغة، وهنا تتدخل المعرفة بها وبمواقف استخداماتها.

[1] Voir, Claude Hagége, Halte à la mort des langues.
[2] Claude Hagege,p :9.
[3] -د. عزي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص:15.
[4] -ينظر د.عزي الرحمن، المرجع السابق، ص:16.

ويستدلّ عزّي عبد الرحمن على ما سبق بآيات قرآنية توضّح مدى دلالة الكلمة إذا حملت مخزونا قيميا ثابتا من جهة ودفعت الإنسان إلى ما هو أفضل من جهة أخرى، قال تعالى: "ألم تر كيف ضرَبَ اللهُ مثلا، كلمةً طيبةً كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء"[1].

إن قيمة الشجرة تكمن في الوصف الذي تبعها ألا وهو الطيّب، ومن ثمّ تؤدّي اللغة وظيفتها القيمية، حينما تتّصف الكلمة التي تبنى بها عددا لا نهائيا من الجمل والتراكيب، فتحمل في طياتها القيمة التي من أجلها كانت تلك اللغة.

أمّا الكلمة التي تفتقد أو تناقض القيمة فليس لها قرار، قال عزّ وجل:"ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض"[2].

وتتصف الكلمة القيمية بالصواب والصدق والعدل والحق أيضا؛ فقد قال تعالى:" لا يتكلّمون إلا من أذِن له الرحمن وقال صوابا". وقال عزّ وجل:"وتمَّت كلمة ربك صدقا وعدلا".

وتكمن قيمة الكلمة في أنّها ترتفع إلى المنزلة العليا وترفع صاحبها، فقال تعالى:" إليه يصعد الكلمُ الطيِّبُ والعمل الصالح يرفعه".

5 – الإعلام وبنية اللغة القيمية

لقد كانت للوسائل الإعلامية المختلفة دور كبير في إشاعة اللغة العربية بين الجماهير، فأسهمت في تطويرها وتطويعها وتهذيبها فجعلت كثيرا من تراكيبها ومفرداتها ومصطلحاتها متداولة في الخطابات الشخصية والرسمية، كما كان لها دور في استحداث ألفاظ سواء عن طريق التعريب أو التوليد أو الترجمة، أثرت بها وأغنت القاموس اللغوي العربي، وقد دلّ ذلك على مرونتها وقدرتها العجيبة في التعبير عن المواقف والمستجدّات من فنون وآداب وعلوم ومخترعات وما إلى ذلك.

ولكن ذلك لم يمنع من تسرّب الفساد اللغوي الذي كان لعلّة أو بدونها، ولكن عموما هو نوع من الأذى الذي أصاب اللغة العربية في مفاصلها.

وإذا كان الفساد يناقض النقاء اللغوي الذي كان يحافظ عليه علماء اللغة العربية منذ القديم، فإنّ د. عزي عبد الرحمن يشير إلى مسألة أخرى لا تقلّ أهمية، وهي أنّ اللغة "قد تمّ إفراغ الجزء الأكبر منها من القيمة؛ مثلما نلفي ذلك في اللغة الإخبارية التي تعكس خطابا يكاد يكون أحاديا في الأسلوب، كالقول:"استقبل"و"صافح" و"كان في توديعه"
و"أشاد" و"ندّد" و"استنكر" و"دشّن"، "وتركزت المحادثات بين الجانبين حول العلاقة الثنائية وبين البلدين"[3].

[1]- سورة إبراهيم،الآية 24.
[2]-سورة إبراهيم، الآية:26.
[3]-د. عزي عبد الرحمن،ص:20.

وهي أساليب وتراكيب من شدّة ما اعتاد على سماعها المتلقّي أصبحت بلا ريب لا تضيف معرفة أو معلومة جديدة؛ بل لا تثير في ذهنه أية دلالة وقل بدون قيمة معرفية، فغدت على حدّ تعبير رولان بارث في درجة الصفر.

6 –إفراغ اللغة من قيمتها في الخطابات المعاصرة

يركّز عزّي عبد الرحمن على أنّ اللغة مصدر القيمة، ويلاحظ في أنّه متى تمّ إفراغها منها داخل المجتمع أصبح الاتصال بها اعتباطيا بل مضرّا بالبنية الاجتماعية.

وإذا كان العنف اللساني متعدّد الأوجه، ومتنوّع الأشكال ومختلف المستويات، فالواقع يبرز أنّه بات ظاهرة مدمّرة انعكست على حياة الأفراد والمؤسّسات على حد سواء، وإذا كان مستواه الأدنى يتمثّل في عدم الرد على التحية مثلا، فإن مستواه الأعلى يصل إلى شتم الأفراد باستخدام الألفاظ النابية، وسبّ الدين، والبلاد والعباد، وهو يشير في مثل هذه الأحوال إلى أنّه عندما تفقد أو تتخلخل اللغة القيمية في المجتمع يمكن استبدال بيت حافظ إبراهيم الذي يقول فيه عن الأخلاق:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

بالبيت التالي:

إنّما الأمم اللغة ما بقيت فإن هم ذهبت لغتهم ذهبوا.

وقد نلفي في المحادثات كثيرا من الأفراد لا يستطيعون أن يجروا حوارا متواصلا ومتسلسلا دون إدخال ألفاظ هجينة، كما أنّ الحوار الهادئ لانعدام قيمية اللغة لم يعد هو السمة التي تتجلّى في المحادثات والتكلمات بين الأفراد وبخاصة الشباب.

ويعود هذا الأمر إلى تفكك البنية القيمية للغة الذي يؤدّي حتما إلى تفكّك علاقة الفرد بالكلام والعلاقة بين الآخرين، وهكذا فكلّما ابتعد الكلام عن القيمة فقد أجزاء كثيرة من معانيه، ودخل في الاعتباطية[1].

ولعل تفكك تلك البنية القيمية للغة يلاحظ فيما تبثه الوسائل الإعلامية من أخبار مضلّلة في تراكيب وجمل سليمة ومستقيمة من حيث النحو، إلاّ أنّها تحمل دلالات ومعان خاطئة، أو لا يقبلها العقل، ولعلّ ذلك يتناقض مع القيمة للغة.

خاتمة

وفي الأخير إن إعادة إحياء البنية القيمية للغة في نظر د.عزي تعيد لها قوّتها كمصدر إشعاع مؤثّر في اللسان والإعلام. فلسانيا يمكن العمل على إعادة الربط بين فعل الكلام، والنظام الثقافي والتعليمي والقيمي الكامن في المجتمع، وإعلاميا يمكن إدخال مبدأ المسؤولية الاجتماعية في أذهان القائمين على وسائل الإعلام والجمهور المتلقي، واعتبار استخدام هذه الوسائل حملا يتجاوز المنفعة المادية، وتحقيق الأهداف السياسية، وتتضمّن هذه المسؤولية إدراج القيمة في لغة الإعلام، وبرامجها، لتصبح اللغة في الإعلام رسالة حضارية تنقل القيم التي تشيّد

[1]-د.عزي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص:24.

صرح النهضة التي كان ينشدها المجتمع العربي منذ تحرّر من الهيمنة الاستعمارية، وإجرائيا فإن ذلك يشمل اعتبار "عنف الإعلام" سمة سلبية قيميا[1]. وهو أمر يتعزّز أكثر إذا شعر كل فرد بمسؤوليته اتجاه هذه الأمّة واضعا وراء ظهرانه المصلحة الخاصة، وتبنّى ما تطمح إليه الأمّة؛ ومما تطمح إليه أن تبقى اللغة نقية وأداة اتصال وناقلة للحضارة ومصونة لقيمها.

وبفقدانها قد تتيسّر الهيمنة اللغوية التي تعود بدون شكّ إلى تفكّك البنية اللغوية والتي تؤدّي إلى تفكّك علاقة الفرد بالكلام، وعلاقته بالمجتمع وبهويته وتاريخه.

[1]-د.عزي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص:38.